Berghof Foundation

swisspeace | CSS ETH Zurich

الوسطاء الداخليون

دراسة حول استكشاف دورهم الرئيسي في عمليات السلام غير الرسمية

مؤسسة بيرغهوف منظمة مستقلة وغير حكومية ولا ربحية مكرسة لدعم أصحاب المصلحة والأطراف الفاعلة في الصراعات في جهودهم الرامية إلى تحقيق السلم المستدام عبر بناء السلام وتحويل الصراع. يقع مقرّ المؤسسة في برلين حيث يعمل فريق متخصّص ومتنوّع مباشرةً مع شركاء حول العالم. (مزيد من التفاصيل على الرابط التالي www.berghof-foundation.org).

تأسس مشروع دعم الوساطة (MSP) في 2005 كمشروع مشترك بين مؤسسة السلام السويسرية (swisspeace) ومركز الدراسات الأمنية (CSS) في المعهد السويسري الفيدرالي للتكنولوجيا ETH بزيوريخ. ويهدف المشروع إلى زيادة فعالية الوساطة من أجل السلام من خلال دعم الوسطاء وأطراف الصراع في اكتساب المعرفة والمهارات اللازمة لمفاوضات السلام. ويركز المشروع على البحوث والتدريب ودعم العملية وبناء شبكة من العلاقات. ويعتبر الشريك الرئيسي للمشروع هو الوزارة الفيدرالية السويسرية للشؤون الخارجية (FDFA)، خاصة قسمها الرابع للشؤون السياسية. (مزيد من التفاصيل على الرابط التالي www.swisspeace.ch/mediation).

المؤلف

الدكتور سايمون جيه أيه مايسون (Simon J A Mason)، عالم البيئة والوسيط بالاتحاد السويسري لجمعيات الوساطة SDM، هو باحث أول في مشروع دعم الوساطة في مركز الدراسات الأمنية التابع للمعهد السويسري الفيدرالي للتكنولوجيا بزيوريخ (ETH Zurich). وقد كتب عن تجارب الوساطة السويسرية في السودان، وتدابير بناء الثقة في شبه الجزيرة الكورية، والصراعات حول المياه والتعاون في حوض النيل، وجهود الأمم المتحدة لمنع الصراعات المتعلقة بالبيئة. كما شارك أيضًا في تنظيم سلسلة من ورش العمل الحوارية بين المصريين والإثيوبيين والسودانيين حول التعاون في قضية حوض النيل الشرقي. وقد ساهم مايسون في التدريب بورش عمل حول الصراع والتفاوض والوساطة بجامعة أديس أبابا، ووزارة الموارد المائية المصرية، وأكاديمية البحر المتوسط للدراسات الدبلوماسية بمالطا (ME-DAC, Malta). وفي إطار مشروع دعم الوساطة MSP، شارك في تنسيق ورشة عمل للتدريب على حل الصراعات لأحد حركات دارفور، وكذلك يشارك في تنظيم دورة وساطة السلام في الوزارة الفيدرالية السويسرية للشؤون الخارجية (Swiss FDFA).

جدول المحتويات

التمهيد ٣

المقدمة ٤

١. Padma Ratna Tuladhar من نيبال: ٧
حيث لا يوجد وسيط رسمي خارجي

٢. Stella Sabiiti من أوغندا: ٨
يستطيع الأشخاص تغيير سلوكهم العنيف

٣. Ibrahim ag Youssouf من مالي: ١٠
الانتظار وتفهّم الصمت

٤. Franklin Quijano من الفلبين: ١١
المسؤول الحكومي الموثوق به

٥. Léonidas Nijimbere من بوروندي: ١٢
المفاوض الوسيط

٦. Dekha Ibrahim Abdi من كينيا: ١٣
شبكة شبكات الوساطة

٧. Raya Kadyrova من قيرغيزستان: ١٥
نساء يتوسطن بين الرجال

الخاتمة ١٦

طبعة

© Berghof Foundation Operations Gmb 2015
Dr. Simon Mason and مؤسسة بيرغهوف.
جميع الحقوق محفوظة

Text authors: Dr. Simon Mason, CSS, ETH Zuerich/
Dr. Oliver Wils, Berghof Foundation (Preface)

المترجم :دعاء عبدن
المراجع :أمال دويك
Graphic design: أحمد الجعبري

التمهيد

يسلط هذا التقرير الضوء على مجموعة رئيسية من الأطراف الفاعلة في عمليات السلام: الوسطاء الداخليين. وقد أُعدّ هذا التقرير بناءً على الخبرة المكتسبة أن أغلب عمليات السلام الرسمية قد بدأت من خلال عمليات سلام غير رسمية أو أُلحقت بها، وقام أناس متفانون من مناطق الصراع وعلى معرفة متعمقة به بتسهيل عمليات السلام تلك.

من أجل استكشاف الدور المحدد للوسطاء "الداخليين" المحليين والإقليميين في عمليات السلام الحالية، قامت مؤسسة بيرغهوف، بالتعاون مع مشروع دعم الوساطة التابع لمؤسسة السلام السويسرية ومركز الدراسات الأمنية (CSS) في المعهد السويسري الفيدرالي للتكنولوجيا ETH بزيوريخ، بدعوة مجموعة من الوسطاء الداخليين من مختلف أنحاء العالم (الجزائر، بوروندي، جمهورية الكونغو الديمقراطية، ألمانيا، كينيا، قيرغيزستان، مقدونيا، مالي، المكسيك، نيبال، الفلبين، سريلانكا، سويسرا وأوغندا).

عقدت ورشة عمل "الدروس المستفادة" خلال الفترة 14-12 يونيو/ حزيران 2008 في فندق شلوس ميونخنفيلر في سويسرا تحت عنوان: عمليات السلام غير الرسمية: التعلم من تجارب الوسطاء "الداخليين".

نود أن نشكر الوزارة الفيدرالية السويسرية للشؤون الخارجية وخاصة مسؤول برنامج الوساطة بالوزارة موريزي ميخائيل (Murezi Michael) على الدعم المالي واللوجيستي الذي قدمته للورشة. كما نقدّر أيضًا دعم زملائنا في مؤسسة بيرغهوف، خاصة الدكتور أوليفر فولِه (Oliver Wolleh) ولوكاس بروبست (Lukas Probst) وستيفان ماشينسكي (Stefan Maschinski) وماثيو ماكنزي (Matthew Mackenzie)، والدعم الذي قدمه داميانو سجويتاماتي (Damiano Sguaitamatti) من مشروع دعم الوساطة.

الدراسة التالية التي كتبها سايمون مايسون (Simon Mason) من مشروع دعم الوساطة يصف فيها نقاط القوة والإمكانات المتاحة للوسطاء الداخليين بناءً على ما قدّموه من عروض تقديمية حول نيبال، أوغندا، مالي، الفلبين، بوروندي، كينيا وقيرغيزستان. نود أن نشكرهم على ملاحظاتهم البناءة جدًا بشأن هذا المقال الموجز، وكذلك كتابة تجاربهم الغنية في الفصول المتوفّرة على الإنترنت أو على القرص المدمج (CD). وتختتم الدراسة بعدد من الأفكار والتوصيات نراها ذات أهمية لجميع المهتمين والناشطين في مجال الوساطة و/أو مجال دعم الوساطة.

تتوفر معلومات إضافية على الإنترنت على الرابط التالي:
http://www.berghof-foundation.org/index.php?id=397

يمكن للقراء الراغبين في معرفة المزيد حول خلفية الموضوع الرجوع إلى المعلومات الإضافية المقدمة على الإنترنت. سوف تجدون العروض التقديمية التي قدّمها الوسطاء الداخليون من نيبال والفلبين وبوروندي وكينيا، وعلاوة على ذلك، يشمل الرابط على الإنترنت السير الذاتية القصيرة للمشاركين ومحاضر مناقشات ورش العمل.

لمزيد من المعلومات، يرجى التواصل مع أوليفر فيلز (Oliver Wils)، مدير برنامج الشرق الأوسط وشمال افريقيا لدى مؤسسو بيرغهوف.

المقدمة

يقول أحد الوسطاء الداخليين: "إنني أكذب في بعض الأحيان، عندما أتحدث إلى أطراف الصراع، وأقول لهم إن الطرف الآخر يريد التحدث إليكم، حتى لو كان الطرف الآخر قد قال لي إنه لا يريد ذلك". ولكنه استدرك قائلاً: "حسناً، أنا لا أكذب بالمعنى المتعارف عليه، ولكنني أقول حقيقة أعمق: إنهم يريدون التحدث، ولكنهم لأسباب تكتيكية ولحفظ ماء وجوههم، يقولون إنهم لا يريدون التحدث حتى وإن كنت متواجد معهم على انفراد. بالطبع إن كان تخميني عن نواياهم الحقيقية خطأ، فهذا يعني أنني انتهيت؛ ولكنني في هذه الحالة كنت على حق: فقد جلسوا أخيرا معًا للتحدّث حقًا ". يسلّط هذا المثال الضوء على الدور المعقّد والحساس للغاية للوسيط الداخلي في عمليات السلام غير الرسمية – موضوع هذا التقرير.

الهدف والسؤال والخلفية

يعتبر الهدف من هذا التقرير هو تسليط الضوء على دور الوسطاء الداخليين وارتباطهم بعمليات السلام غير الرسمية. سؤالنا الإرشادي هو: ما هي خصائص الوسطاء الداخليين في عمليات السلام غير الرسمية، وما هي مواردهم وصلاتهم بالوسطاء الخارجيين وما مدى أهميتهم لعملية السلام؟ تستند هذه الدراسة إلى ورشة العمل التي أقيمت في الفترة من 12 إلى 14 يونيو/ حزيران 2008 وقد حضرها مجموعة من الوسطاء الداخليين من الجزائر، بوروندي، جمهورية الكونغو الديمقراطية، ألمانيا، كينيا، قيرغيزستان، مقدونيا، مالي، المكسيك، نيبال، الفلبين، سريلانكا، سويسرا وأوغندا. تسعى هذه المقالة التمهيدية إلى انتقاء بعض "الجواهر" من بين الوساطات العديدة التي عرضت في تلك الورشة وتلك التي كتبها المشاركون في الورشة حول نيبال، الفلبين، كينيا وبوروندي في الفصول المنفصلة على الإنترنت.

قد يكون الوسطاء الداخليون متحيزين في علاقاتهم، ولكن لا يعني ذلك بالضرورة أنهم متحيزون في ممارستهم الوساطة

ولكن لنوضّح أولاً ما الذي نعنيه بقولنا "عمليات السلام غير الرسمية" و "وسطاء داخليين".

العمليات الرسمية وغير الرسمية

تتميز عمليات السلام الرسمية والنظامية بتفويض صريح من جانب الحكومات. حيث يغدو من الواضح من الذي يجلس إلى مائدة التفاوض، ومن الذي يستضيف تلك المباحثات ويتوسط فيها[1]. وفي هذه الحالة عادة ما يكون التفويض تفويضًا رسميًا مكتوبًا. ومع ذلك، تنشأ عادة عمليات السلام الرسمية تلك وتُستكمل من رحم عمليات سلام غير رسمية وغير نظامية. في مثل هذه الحالات يكون التفويض الممنوح للوسطاء ضمنيًا غير صريح. لذا تقوم عمليات السلام غير الرسمية بالأساس على علاقة قائمة على الثقة لا التفويضات الرسمية المكتوبة.

الوسطاء الداخليون والخارجيون

عادة ما يقوم الوسطاء الداخليون بتسهيل العمليات غير الرسمية. إلا أنه هناك أيضًا حالات يشارك فيها وسطاء داخليون في العمليات الرسمية وأخرى يشارك فيها وسطاء خارجيون في العمليات غير الرسمية. ومع ذلك، نحن نركز هنا على دور الوسطاء الداخليين في العمليات غير الرسمية، حيث يتمتعون بميزة نسبية حاسمة قد لا يتمتع بها الوسطاء الخارجيون. ويُعرّف الوسطاء الداخليين وفقًا لقربهم الجغرافي من أطراف الصراع، أو احتكاكهم بالصراع . وهناك طريقة أفضل لتعريفهم تركّز على التقارب الثقافي والمعياري بين الوسيط وأطراف الصراع[2] هنا يُنظر للوسطاء الداخليين كأصحاب معرفة متعمقة بالوضع لهم علاقات وثيقة مع أطرافه، مما يسمح لهم أيضًا بالتأثير على سلوكهم على المستوى المعياري[3]. إن مصطلح الوسيط "الداخلي" أو "الخارجي" هو مصطلح نسبي؛ يستخدم فقط من أجل التمييز بين الوسطاء. فعلى سبيل المثال، مصطلح الوسيط الداخلي

يُنظر للوسطاء الداخليين كأصحاب معرفة متعمقة بالوضع لهم علاقات وثيقة مع أطرافه

١ تُعرف المفاوضات كعملية لاتخاذ قرار مشترك، أما الوساطة فتُعرف كمفاوضات بمساعدة الغير، أو كما يقول ديكا إبراهيم عبدي: "محاولة التوصّل إلى حل معاً".

٢ Elgström, Ole (2003) ‘’The Honest Broker’? The Council Presidency As A Mediator’, In Ole Elgström (Ed), European Union Council Presidencies (London: Routledge):ص ٣٨-٥٤

٣ Carnevale, Peter J. And Choi, Dong-Won (2000) ‘Culture In The Mediation Of International Disputes’, International Journal Of Psychology 35/2:ص ١٠٥-١٠. Wehr, Paul (1996) ‘Mediating Conflict In Central America’, Journal Of Peace Research 28/1:ص ٨٥-٩٨

يلائم كوفي عنان (Kofi Annan) في عملية السلام التي بدأت في أعقاب الانتخابات في كينيا، أكثر مما يلائم مارتي اهتيساري (Martti Ahtisaari)، ولكن يصبح مصطلح وسيط داخلي أكثر ملائمة لشخص مثل ديكا إبراهيم عبدي (Ibrahim Abdi Dekha) أو الجنرال لازارو سومبيو (Lazaro Sumbeiywo) مقارنة بكوفي عنان. إن الوقوف على حقائق الصراع من داخله يمد الوسيط الداخلي بالكثير من نقاط القوة (وبعض نقاط الضعف) مقارنة بالوسيط الخارجي. ووفقًا لبعض الأدبيات[٤]، فإن إحدى أبرز نقاط ضعف الوسطاء الداخليين هي كونهم أكثر تحيزًا من الوسطاء الخارجيين.

أشكال التحيز المختلفة

ما المقصود بالتحيز على كل حال، وأي نوع من التحيز يعاني منه الوسطاء الداخليون؟ لقد جمعنا ثلاثة أنواع مختلفة على الأقل من "التحيز" بقولنا "التحيّز": أولاً، هناك "التحيز في العلاقات"، حيث يصبح لدى الوسيط علاقة أوطد بطرف معين دون الأطراف الأخرى، على أساس رابط شخصي أو سياسي أو اقتصادي يربطه بأحد الأطراف. ثانيًا، هناك "التحيز في إدارة العملية"، حيث يدير الوسيط عملية السلام بطريقة متحيزة إلى طرف ما دون الآخر؛ كمنحه مزيدًا من الوقت للتحدث أو توفير موقع أفضل له للجلوس فيه أو غرف أفضل في الفنادق. ثالثًا "التحيز في النتائج"، حيث يصيغ الوسيط مسودة الاتفاق بتحيّز[٥]. ويتميز الوسطاء الداخليون عمومًا بـ "التحيز في العلاقات"، وليس التحيز في إدارة العملية أو في النتائج. كما يوصي الوسطاء أطراف الصراع بـ "فصل الأشخاص عن سلوكهم "[٦]، ويمكنهم توصية أنفسهم بالحقيقة ذاتها: يمكن للمرء أن يكون متحيزًا، ولكنه يتصرف بطريقة متوازنة.

الوساطة في سياق الدول الضعيفة[٧]

يعمل الوسطاء الداخليون الذين يركز عليهم هذا التقرير في إطار الدول الضعيفة أو حتى غير الموجودة، وكلهم يتعاملون مع المسائل السياسية. وهذا يختلف كثيرًا عن الوسطاء الذين يعملون في دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية أو سويسرا أو الصين، حيث يعملون في "دول" لها وظائفها وتتمتع بهيكل قانوني واضح وقابل للتنفيذ. ما معنى أن تعيش في دولة "ضعيفة"؟ على سبيل المثال هناك حالة قامت الشرطة فيها بسجن أبرياء، حتى تضطر أسرهم وأصدقاؤهم لرشوة الشرطة للسماح لهم بالخروج من السجن. فمع خلو السجون من المجرمين الاعتياديين ومحدودية دخل رجال الشرطة، كانت تلك هي الوسيلة لزيادة الرواتب الحكومية الضئيلة لرجال الشرطة. إن عدم وضوح الحدود بين القطاع العام والخاص سمة عامة مشتركة تميز الدول الضعيفة. فـ "الدولة" ذاتها لا وجود واضح لها، وبالتالي فلا وجود لـ "مجتمع مدني" تابع لهذا الجزء الذي ليس بدولة. كما لا تعرف الدول الضعيفة نموذج احتكار الدولة حق ممارسة القوة، السائد في الغرب. بل في كثير من الحالات ينظر الناس للدولة بوصفها المصدر الرئيسي للقمع والعنف العشوائي. ولذلك سعوا لإيجاد أشكال أخرى من الحماية من العنف، كحاجة الفرد للانتماء إلى عشيرة أو قبيلة عرقية، أو كيان إقليمي أو جماعة دينية تهتم باحتياجات الفرد وتحميه من العنف. ويؤدي هذا في كثير من الأحيان إلى أعمال عنف بين مختلف جماعات "الدوائر" لحماية أفرادها. ولذلك فإن الوساطة في الدول الضعيفة أو غير الموجودة، تعمل في غياب مؤسسات الدولة العاملة والأطر القانونية. في مثل هذه الحالات، حيث يتم في كثير من الأحيان إساءة استخدام الأدوار الرسمية والنظامية، يكون العنف جزءًا من الحياة اليومية. لذلك فمن المنطقي في هذا السياق، أن توضع الثقة في الوسطاء بسبب علاقاتهم الشخصية وسمعتهم، اللتين تفوقان أي دور أو تفويض رسمي ونظامي.

الأدوار المتعددة للوسطاء الداخليين

نظرًا إلى أن دور الوسطاء الداخليين أقل رسمية، فإنهم يلعبون أدوارًا تختلف تمامًا، وتتغير هذه الأدوار في كثير من الأحيان خلال عملية السلام. وتشمل الأدوار الرئيسية التي يقوم بها الوسطاء الداخليون: المبعوث، الناشط الحقوقي، المضيف، المسهّل، مشخّص الصراع، باني الثقة، المعالج، المدرب، المنظّم والمنسق. يمكن للبعض أن يجادل بأن هذه الأدوار لا يمكن تلخيصها تحت عنوان "الوساطة"، ولكن يشار إليها بـ "بناء السلام". من المفيد هنا التمييز بين الأدوار

٤ Welton, G. L., & Pruitt, D. G. (1987). The Mediation Process: The Effects Of Mediator Bias And Disputant Power. Personality And Social Psychology Bulletin, 13, ص١٢٣ -١٣٣.

٥ هذا التصنيف من التحييز نابع من "The Honest Broker" Elgström (2003)". كما وأشار Carnevale And Choi (2000) إلى "التحيز في النتائج" ب "التحيز في المحتوى"" Culture In The Mediation Of International Disputes".

٦ قد يأتي أفضل مثالا على هذه المنهجية مماقاله غاندي: "أنا لا أتعاون كي أتمكن من أن أتعاون. لا يمكنني إرضاء نفسي بتعاون مزيف – أي شيء أقل من 24 قيراط من الذهب. لا يمعني عدم تعاوني من أن أكون ودودًا حتى مع السير مايكل أودواير والجنرال داير؛ فعدم تعاوني لا يؤذي أحدًا، وإنما هو عدم تعاون مع الشر ومع نظام الشر، وليس مع من يقترف الشر". The Moral And Political Writings Of Mahatma Gandhi. Volume I: Civilization, Politics, And Religion. Edited. By Raghavan Iyer. Oxford: Clarendon Press/New York, Volume I, ص٤٧

٧ هذا القسم مبني على "Africa Works: Disorder As Political Instrument". Patrick Chabal And Jean-Pascal Daloz. Bloomington: Indiana University Press, 1999

الرئيسية وتلك الثانوية. إذا كان الدور الرئيسي لشخص ما يتمثل في دعم الأطراف في المفاوضات فإننا نطلق عليه لقب "وسيط"، حتى لو كان يشارك أيضًا في الأدوار الثانوية مثل التدريب أو المعالجة كجزء من دور الوساطة الأساسي الذي يلعبه. وعلى الرغم من أن هذا ليس تعريفًا واضحًا، ولكنه يتناسب مع واقع الأدوار المتعددة للوسيط التي تجلت في التجارب التي تمت مناقشتها في ورشة العمل. إننا نحاول توضيح المسمّيات والأدوار من أجل التواصل، ولكن معظم الوسطاء الداخليين يقومون بما يجب فعله بغض النظر عن المسميات. دعونا نستمع جيدًا إلى تلك التجارب، كمسافرين يستكشفون الكنوز الخفية لعالم الوساطة.

رحلتنا مع الحالات

نستكشف أولاً حالة نيبال، حيث لعب وسطاء داخليون مثل بادما راتنا تولادار (Padma Ratna Tuladhar) دورًا قويًا جدًا في غياب تام للوسطاء الرسميين الخارجيين. ثانيًا سنذهب إلى أوغندا، حيث تشرح ستيلا سابيتي (Stella Sabiiti) منطق الوساطة بأكثر الكلمات قوة استنادًا إلى تجربتها الشخصية. ثالثًا تصل رحلتنا إلى مالي، حيث يشير إبراهيم آغ يوسف (Ibrahim ag Youssouf) إلى ضرورة التحلّي بالصبر والتفهّم الثقافي للصمت. رابعًا سنقوم بزيارة لبوروندي والفلبين: حيث كان ليونيداس نيجيمبيري (Léonidas Nijimbere) وفرانكلين كويخانو (Franklin Quijano) مفاوضَين حكوميَين، ولكنهما لعبا في الوقت نفسه دور الوسيطَين الداخليَين. وبذلك أضافا إلى مفهوم الوساطة، فقد أظهرا على سبيل المثال كيف يمكن لعضو تابع لطرف من أطراف الصراع أن يتوسّط بين أطراف الصراع والوسيط الرسمي. وأخيرًا ستكون رحلتنا إلى كينيا وقيرغيزستان، حيث توضح ديكا إبراهيم عبدي (Dekha Ibrahim Abdi) ورايا قديروفا (Raya Kadyrova) أن الوساطة الظرفية لا تكفي، ولكن لابد من إعداد نظام للإنذار المبكر للأزمات، يتألف من ممثلين عن جميع الأطراف الفاعلة في المجتمع، وذلك لضمان استجابة سريعة للوساطة عندما تتصاعد حدّة الصراعات.

١. Padma Ratna Tuladhar من نيبال: حيث لا يوجد وسيط رسمي خارجي

البداية

انتقل بادما راتنا تولادار (Padma Ratna Tuladhar) إلى مجال الوساطة السياسية من خلال مشاركته ونشاطه كناشط حقوقي. في حقبة التسعينيات انتُخب عضوًا في البرلمان باعتباره يساريًا مستقلًا، فساعد على جمع مختلف الأحزاب الشيوعية معًا تحت راية الجبهة اليسارية المتحدة (ULF)، ثم قام بتسهيل المحادثات بين هذه الجبهة والقوى الديمقراطية الأخرى من جهة، والحكومة الملكية من جهة أخرى، لاستعادة الديمقراطية البرلمانية. وأكسبته هذه التجربة ثقة كل من القوى الملكية والشيوعية والديمقراطية، ما مكّنه من أن يكون ميسّرًا أو مسهّلاً في محادثات السلام في نيبال خلال الأعوام 2001 و2003 و2006.

دور المبعوث

كان دور المبعوث واحدًا من ضمن الأدوار الرئيسية التي لعبها تولادار (Tuladhar) قبل الاجتماعات الفعلية وفي أثنائها وجهًا لوجه بين الماويين والقوى الديمقراطية. وقد فعل هذا في الوقت الذي وُصف فيه الماويون بأنهم إرهابيون، وكان التحدث معهم ممنوعًا. وقد ألقت الحكومة القبض عليه في وقت ما بسبب نشاطه هذا، ولكن أُفرج عنه بعد بضع ساعات نظرًا لعلاقاته وسمعته الطيبة لدى مسؤولين ذوي نفوذ في الحكومة. كان دور المبعوث ضروريًا لكلا الجانبين لاستكشاف الإمكانات ولمعرفة مدى جديّة الجانب الآخر في التفاوض، ولبناء ثقة كافية للبدء بمحادثات مباشرة شيئًا فشيئًا. إن الارتباك وغياب التواصل من الأسباب الرئيسية للقضاء على أي عملية تفاوض، وفي المقابل، فإن فتح قنوات الاتصال ضروري من أجل المضي قدمًا في محادثات السلام.

كان دور المبعوث ضروريًا لبناء الثقة شيئًا فشيئًا وبدأ المحادثات المباشرة

الدفاع عن حقوق الانسان

ندد بادما راتنا تولادار (Padma Ratna Tuladhar) علنًا بانتهاكات حقوق الإنسان من قبل الحكومة والماويين. البعض، كالقطاع الأكبر من السكان على سبيل المثال، رأى ذلك الدور الداعم لحقوق الإنسان من منظور إيجابي. لكن من ناحية أخرى، وصفته بعض الصحف بأنه من الماويين نظرًا لإدانته لانتهاكات حقوق الإنسان من قِبل الحكومة، بينما تجاهلت بكل سهولة استنكاره لسلوك الماويين.

ينطوي هذا النوع من الأدوار على مخاطر تناول وسائل الإعلام له بشكل مضلّل والنظر إليه باعتباره دورًا متحيزًا. وهذا هو أحد الأسباب التي تفسر لماذا ينظر إلى هذا الدور على أنه غير متوافق مع دور الوساطة الغربية الكلاسيكية "غير المتحيّزة". إلا أن تجربة نيبال تظهر أنه من الممكن أن يكون شخص ما عضوًا بأحد أطراف الصراع وفي الوقت ذاته وسيطًا، ويتوقّف ذلك على الشخصية والأسلوب الذي تجرى به الوساطة. بل أنه يمكن في هذه الحالة على وجه الخصوص، أن يكون ذلك عاملاً هامًا للحفاظ على ثقة الشعب في عمل الوسيط وفي عملية السلام.

مسك الخيوط معًا

عمل بادما راتنا تولادار (Padma Ratna Tuladhar) كوسيط بين أطراف الصراع الرئيسية، ولكن دوره تضمن أيضًا أن يكون على اتصال مع القطاع الأكبر من السكان وأن يكون حلقة اتصال رئيسية للدبلوماسيين ووسطاء المجتمع الدولي. ونظرًا لعدم وجود تنسيق أو حتى تنافس بين بعض الوسطاء الخارجيين الدوليين، وصل الأمر في بعض الحالات إلى أن يتولّى مسؤولية التنسيق بين الوسطاء الخارجيين (مثل مركز كارتر ومركز الحوار الإنساني). وذكر بادما أن ما يقدّره في هؤلاء الوسطاء الخارجيين هو ما تعلّمه عن التجارب في الأماكن الأخرى. وقال إنه كان ليرحب بدور أكبر للوسطاء الدوليين إلا أن الهند لم تكن راغبة في ذلك. كما أن الثقافة النيبالية تقتضي أن يدير كبار السياسيين اجتماعاتهم الخاصة، ولا يُسمح بتفويض هذه المهمة إلى أطراف خارجية. لذلك غلب الطابع غير الرسمي على الوساطة بين الوسطاء الداخليين، مثل بادما، والوسطاء الخارجيين مثل غونتر بيخلر (Günther Baechler) (خبير الوساطة بالوزارة الفيدرالية السويسرية للشؤون الخارجية FDFA). حيث شكلوا في عملية 2006 فريقًا للتيسير تكوّن من وسيطَين داخليَين وآخرَين خارجيَين – في نموذج رائع يستغل المزايا النسبية لكلا الطرفَين. وقد كان دور بادما أشبه بالتموضع في مركز شبكة واسعة من العلاقات، ومسك جميع الخيوط المتعدّدة معًا بعناية. فإذا ما تهاون في مسك تلك الخيوط، تفلّتت من بين يديه، وإذا حاول شدّها بقوة أكبر من اللازم، قطعها. لذلك كان مفتاح نجاح عملية السلام النيبالية هو أن من أدارها كان الشعب النيبالي ذاته، ليس أقلهم فضلاً أشخاص مثل بادما راتنا تولادار.

حلقة اتصال رئيسية غير رسمية للدبلوماسيين والوسطاء الدوليين

٨ فقد قال على سبيل المثال أنه كان أمرًا مفيدًا أن يتعلّم من حالات أخرى عدم واقعية أن ننتظر من الجماعات المتمرّدة أن تتخلى عن سلاحها مبكرًا خلال عملية السلام حتى لا تفقد نفوذها وثقلها.

٢. Stella Sabiiti من أوغندا: يستطيع الأشخاص تغيير سلوكهم العنيف

البداية

انضمت ستيلا سابيتي (Stella Sabiiti) إلى مجال الوساطة من خلال التجربة التي تعرضت فيها للتعذيب على أيدي جنود عيدي أمين (Idi Amin) في أوغندا في السبعينيات. حيث أدركت خلال هذه التجربة أن الاتهامات التي كانوا يوجهونها لها كلها اتهامات كاذبة، وكان جلادوها بدورهم يعرفون أن الاتهامات كاذبة، وكانوا يعرفون أيضًا أنها تعرف أنها أكاذيب. كيف يكون هذا منطقيًا؟ لماذا لا يعذبونها فقط دون أكاذيب؟ ولعل كلمات أليكسندر سولجينيتسين (Alexander Solzhenitsyn) تحمل جزءًا من الإجابة: "العنف لا يحيا وحده، وغير قادر على العيش وحده: يجب أن يمتزج بالباطل". (...) "وحالما يزهق الباطل سيتعرّى العنف بكل قبحه، ويتداعى للسقوط، ثم ينهار" [٩].

تقول ستيلا (Stella): "عندما يخضع شخص ما للتعذيب، فإن أول ما يفعله هو تجنب الاتصال بالعين. فهي وسيلة لحماية الروح، حتى وإن كان الجسد يتأذى. ومع ذلك قررت ستيلا (Stella) متعمدّة الاتصال بالعين مع من يقومون بتعذيبها. وربما فعلت هذا لأنها شعرت بأنها كانت ستموت على أية حال، لذلك لم يكن هناك ما تخسره. لم تنظر إلى عيونهم من خلال طرح أسئلة مثل "لماذا تفعلون هذا؟" لأنهم حتمًا كانوا سيمتنعون عن الإجابة عليها أو كانوا سيجعلونها أضحوكة. لذلك بدأت التواصل معهم بسؤال بسيط ليس له علاقة بما يحدث لها: "ماذا طبخت زوجتك لك الليلة الماضية؟" في البداية تم تجاهلها، واستمر التعذيب، لكنها ظلت تكرر سؤالها مرارًا وتكرارًا. وأخيرا بدأ التواصل معهم واحدًا تلو الآخر وبدأ الجنود بالتحدث معها [١٠]، وكانت هذه لحظة التحول. تقول ستيلا (Stella):

"أعتقد أن الله ساعدني إذ نجيت، شعرت أنني والجنود في حاجة إلى التحرر من هذا الموقف العنيف. حينها فهمت أنه على الرغم من أنني كنت ضحية إلا أن من آذوني كانوا أيضًا ضحايا. ولأنني كنت أحتضر، كان يجب علي الإيمان بالله، والله يقول لنا أننا جميعًا أبناؤه، خلقنا على صورته، وعلينا جميعًا أن نحصل على الخلاص. بسبب هذه التجربة قررت العمل مع الجماعات المسلّحة. خلاصة القول هي أن الإنسان مخلوق رائع، صحيح أننا نفعل أشياء سيئة، ولكننا لا نزال صالحين. ولكن كيف نفصل الأشياء السيئة التي نقوم بها عن شخصياتنا الحقيقية؟ هذا هو التحدي الرئيسي للوساطة " [١١].

> "ماذا طبخت لك زوجتك الليلة الماضية؟"

أدركت ستيلا (Stella) أن مرتكبي العنف أيضًا يعانون داخليًا. فعندما يلحق أحدهم الألم بالآخرين، فإنه يلحق الألم بنفسه أيضًا. قد ينبع هذا الألم من قتل الشخص لجميع عواطفه الداخلية، بحيث لا يعود مرتكب العنف قادرًا على الشعور بأي شيء، فيصبح ميتًا عاطفيًا [١٢]. ومنذ ذلك الحين، كرّست ستيلا حياتها لمنع نشوب الصراعات ولحلها ولتحويلها. وقد توسّطت بين الحكومات والجماعات المتمردة، وقامت بتيسير تدريب العديد من الجماعات المتمردة عل مهارات التحليل والتفاوض وتحويل الصراع سلميًا.

خلق مساحات للتعلم للجماعات المتمردة [١٣]

تفضل ستيلا (Stella) عدم التحدث عن التدريب، حيث أنه يلمّح إلى أن الناس يجب أن تتعلم شيئًا من خبير خارجي. في حين أن الفكرة هي خلق مساحة للتعلم المشترك. فعملية التعلّم تحدث عن طريق التعرف على خبرات ومعارف الأشخاص والبناء عليها. يعرف المنخرطون في صراع ما الأوضاع أفضل من سواهم. وتدعم ستيلا خبرات التعلم من خلال الصور؛ فنحن لا نتعلم فقط من خلال الحجج المنطقية، ولكن نتعلم أكثر كثيرًا من خلال الصور؛ إن لغة الصور هي لغة الروح.

٩ Alexandr Solzhenitsyn, The Nobel Prize In Literature 1970, Nobel Lecture Http://Nobelprize.org/Nobel_prizes/Literature/Laureates/1970/Solzhenitsyn-Lecture.html

١٠ ستيلا سابيتي في مؤتمر Pdiv السنوي لعام 2008 حول "الوساطات في الصراعات في أفريقيا"

١١ ستيلا في دورة تدريبية لجماعة متمرّدة في دارفور في يونيو/حزيران 2008.

١٢ إستنادا إلى قصة خيالية مأخوذة عن قصة واقعية لجندي سابق في الحرب الأهلية بروديسيا: "سأقول لك الحقيقة؛ الرعب الحقيقي في هذا الموقف" لم يكن ذلك تأثير أم الطفل، ولا جسده المشوّه أو سخافة موت حذائه الجديد. الأمر المرعب كان أنني شعرت بلا شيء، لا شيء مطلقًا تجاه هذا الولد أو أمه أو حزنها. الرعب هو أنني كان عليّ أن أفقد إنسانيتي من أجل المحافظة على المقاييس" و"الحفاظ على الحكم المتمدّن" و"القضاء على شرور الشيوعية"، فقدتها من أجل كل ما سبق. تمامًا". (...) "لم أعد أشعر مطلقًا بأية مشاعر، لا غضب ولا خوف ولا حب ولا بغض. لا شيء! لا شيء حتى هذا اليوم. هل لديك فكرة، أية فكرة عن الشعور بلا شيء؟" White Man Black War, Bruce Moore King, Baobab Books, 1988

١٣ هذا الجزء مبني على ملاحظات المؤلف عن ستيلا (Stella) خلال إلقائها دورة تدريبية لجماعة متمردة في دارفور في يونيو/حزيران 2008.

وتُعد إحدى فوائد استخدام الصور، أنها تعفي المرء من مهمة تحليل وتفسير الصراع الجاري. تتجنب ستيلا (Stella) الحديث مع الجماعة التي تعمل معها عن الصراع الذي تخوضه تلك الجماعة. فقد يكون الحديث عن الصراع مؤلمًا ومسببًا للشقاق، وأدعى لتكوين فكرة عنها باعتبارها منحازة. لذلك فهي تستخدم الصور، وعلى أطراف الصراع الربط بأنفسهم بين تلك الصور والصراع المنغمسين به. فعلى سبيل المثال، طلبت ستيلا (Stella) من ثلاثة مشاركين أداء تمثيلية قصيرة: أحدهم يمثل دور والد طفل، وآخر دور الطفل والثالث دور طبيب. الطفل مريض، ماذا سيفعلون؟ وبالفعل تم العرض في حوالي خمس دقائق، وكان هناك الكثير من الضحك. أكّدت ستيلا أن هذا الجو من المرح والضحك هام جدًا بالنسبة لهم حيث أنهم قد مروا بمواقف صعبة ومؤلمة ويساعدهم الضحك والمرح على الاسترخاء النفسي. ثم بدأت المناقشة الجماعية؛

إن منطق الوساطة هو منطق التغيير والتحويل

إن الصراع كالمرض: من الجيد أن تحاول حله بنفسك في البداية، فإذا نجحت في ذلك فتلك هي الطريقة الأمثل. أما إذا لم تستطع، فعليك أن تعرف متى تلجأ للمساعدة. ثم إذا ذهبت للمساعدة، فعليك أن تذهب إلى شخص تثق به كطبيب (أو وسيط). يجب على الشخص الذى ستذهب إليه أن يبدأ بالتحليل الدقيق وبالاستماع، وليس بالتشخيص السريع والأحكام المسبقة.

بفضل تجربتها الشخصية، تنقل ستيلا منطق الوساطة بطريقة مقنعة جدًا: منطق الوساطة هو منطق التغيير والتحويل؛ على الرغم من أن الناس يفعلون أشياء فظيعة، إلا أن التغيير لا يزال ممكنًا. فمن الممكن أن تتحول شياطين اليوم إلى ملائكة الغد، وأن تقترف ملائكة اليوم أفعالاً شيطانية غدًا. هذا الإدراك يجعنا نتمهّل في إصدار الأحكام السريعة، ويشجعنا على محاولة مجاراة الآخرين وفهمهم، بل وأنفسنا أيضًا. الفهم أكثر أهمية من الإدانة، فهو يفتح الباب للتسامح والمضيّ قُدمًا.

٣. Ibrahim ag Youssouf من مالي: الانتظار وتفهّم الصمت

البداية

توسط إبراهيم أغ يوسف (Ibrahim ag Youssouf) في عملية السلام التي تمت في "تمبكتو"، والتي ضمت حكومة مالي وحركات الطوارق المتمردة في الجزء الشمالي من البلاد. وقد ساعدت هذه العملية في منع اندلاع حرب أهلية، وانتهت بـ "شعلة السلام"، حيث أُحرقت أسلحة المتمردين في 27 مارس/آذار 1996.[١٤] وموّلت الأمم المتحدة هذه العملية جزئيًا، ولكن مع ذلك كانت عملية السلام مدفوعة من بعض الأطراف الفاعلة المحلية. يمكن لجهود السلام المحلية بالتعاون مع حكومة مستعدة للحوار، أن تكون فعالة جدًا في التعامل مع المتمردين ومشكلة التهميش الإقليمي. في حين لا تزال هناك مشاكل في مالي، إلا أن الصراع هناك أقل حدّة من الصراع في النيجر التي لجأت إلى معالجة الموقف بالطرق العسكرية.[١٥]

التحلي بالصبر وتفهّم الصمت

إن أحد الدروس المستفادة من تجربة إبراهيم (Ibrahim) هو ضرورة التحلّي بالصبر. وقد تذكر موقفًا حدث في المراحل الأولى لعملية السلام، حين أراد أحد الأشخاص أن يقنع الطرف الآخر بأن المحادثات ستكون مفيدة. ولم يمانع الخصم بشأن حضوره وجلوسه منتظرًا، ولكنه لم يكن راغبًا في الحديث معه وظل صامتًا.

ظل يروح ويغدو كل يوم، يجلس على المقعد في صمت. ولكن لم يبدأ الحوار إلا بعد مرور أيام عديدة طويلة من الانتظار. فالانتظار هنا هو دليل على الاحترام والتفاني والجدية إلى حد ما، وبالتالي هذا يفتح الباب للحوار. لا ينبغي أن يكون الوسطاء في عجلة من أمرهم، ولكن كان على الشخص أن يدرك أو يشعر بمعنى الانتظار. المعرفة الثقافية أمر ضروري، وإلا كان من الممكن أن يُفهم طلب الانتظار باعتباره إهانة. ومن يدري، لعلهم يختبرون من خلال صمتهم مقولة زِن (Zen): "عندما نصمت نكون واحدًا، وعندما نتحدث نصبح اثنين".[١٦]

يلعب الوسطاء الداخليون دورًا رئيسيًا في جميع مراحل عملية السلام، ولكن دورهم في المراحل المبكرة للعملية مدهش على وجه الخصوص، عند محاولة فهم الأطراف الفاعلة واستكشاف فوائد المفاوضات. يعزّز القرب الثقافي الثقة في هذه المرحلة الدقيقة جدًا.

لا ينبغي أن يكون الوسطاء في عجلة من أمرهم

١٤ A Peace Of Timbuktu: Democratic Governance, Development And African Peacemaking, R. Poulton & I. Ag Youssouf, March 1998. أنظر أيضا: Mali: Successful Mediation Effort Could Lead To Lasting Peace (Http://Www.conflict-Prevention.net/Page.php?Id=40&Formid=73&Action=Show&Surveyid=10)

١٥ Åberg, Annika, Sabina Laederach, David Lanz, Jonathan Litscher, Simon J A Mason And Damiano Sguaitamatti: "Unpacking The Mystery Of Mediation In African Peace Processes. Zurich, Bern: Mediation Support Project, Center For Security Studies, Eth Zurich And Swisspeace. Online At: Www.css.ethz.ch

١٦ Morris L. West, The Ambassador, New York: Dell Publishing Co., Inc. 1965، ص١٦.

٤. Franklin Quijano من الفلبين: المسؤول الحكومي الموثوق به

البداية

ترعرع فرانكلين كويخانو (Franklin Quijano) في مجتمع مختلط مسيحي -مسلم في ميندناو بالفلبين. وقد قضى طفولته في جو من التوترات الطائفية والحروب العشائرية عُرفت باسم "ريدو". وكان والده سائق حافلة يسافر بين مختلف المجتمعات المحلية ليجلب السلع، ومثّل غالبًا همزة الوصل بين تلك المجتمعات المحلية المتصارعة فيما بينها. وقد ساهم دور والده في "انتقاله بين المجتمعات" في تشكيل شخصية فرانكلين (Franklin) لاحقًا كوسيط.

الفوز بثقة الخصوم

لقد شارك فرانكلين (Franklin) بنفسه في الوساطة بين العشائر قبل انتخابه عمدة لمدينة أليجان. كما شغل لمدة أربع سنوات منصب رئيس لجنة في حكومة جمهورية الفلبين، كانت في حوار مع حزب العمال الثوري بميندناو. ولأنه مسؤول حكومي موثوق به من قبل المتمردين، كانت الجبهة الوطنية لتحرير مورو وجبهة تحرير مورو الإسلامية تتواصل معه في بعض الأحيان بشأن الإجراءات الحكومية التي أوقعت عليهم الظلم. وبهذه الطريقة أمكن تجنب الإجراءات الحسّاسة التي من شأنها أن تسبب تصعيد الأمور. وكذلك كان وسيطًا على المستوى المحلي في أوقات مختلفة بسبب شخصيته وخلفيته، ومفاوض الحكومة مع جماعة متمردة لفترة طويلة من الزمن، وأخيرًا وسيطًا بين حكومته والمجموعات المتمردة.

الوسطاء التقليديون بحاجة إلى موارد مالية أيضًا

أشار فرانكلين (Franklin) إلى أنه كان هناك نظامًا نافذًا تقليديًا لحل الصراعات، أضعفته القوى الاستعمارية واستبدلته. حيث تم تهميش الزعماء التقليديين، ولم تعد مهارات الوساطة الموجودة تستخدم. وقد تصاعدت العديد من الصراعات العشائرية لأن النظم التقليدية كانت قد تآكلت، دون أن تحل محلها أخرى جديدة نافذة. كان التحدي الحقيقي هو صياغة أسلوب عمل تعمل من خلاله الأنظمة القضائية التقليدية وتلك "الحديثة" جنبًا إلى جنب. وفي أجواء كهذه يجب على الوسطاء في هذا الوسط الثقافي أن يكونوا على قدر من الحكمة ولديهم الوسائل والأدوات لتوفير الدعم اللوجستي وتطويره لتنفيذ أي اتفاق. بعد أن يتم التوصل إلى تسوية، غالبًا ما يقيم الوسيط على حسابه الخاص وليمة على طريقة عيد الشكر تسمى "كاندوري". هكذا يجب دعم الزعماء التقليديين لاستعادة هيبتهم المفقودة، ولكي يحدث ذلك يجب أن يكون هناك موارد اقتصادية يعتمد عليها الوسيط في أداء دوره.

تبين تجربة فرانكلين (Franklin) أن الشخص يمكن أن يكون ذا منصب في الحكومة، وفى الوقت نفسه يتصرف كوسيط بين الحكومة نفسها والجماعة المتمردة التي تقاتلها -كما هو الحال في التجربة البوروندية التالية. الثقة تجعل ذلك ممكنًا؛ لا يمكن للمرء أن يفهم تمامًا ما الذي يبني "الثقة"، إلا أنه إذا التقى بفرانكلين (Franklin)، يخمّن أن الناس يثقون به ليس فقط بسبب خبرته وسمعته، ولكن أيضًا بسبب شخصيته، وطبيعته السمحة والمبهجة.

٥. Léonidas Nijimbere من بوروندي: المفاوض الوسيط

البداية

تجربة ليونيداس نيجيمبيري (Léonidas Nijimbere) كحالة فرانكلين (Franklin)، حيث توضح كيف يمكن لمسؤول حكومي أن يلعب دور الوسيط الداخلي، حتى وإن كان دوره الأساسي هو التفاوض. حدثت نقطة التحول في حياة ليونيداس (Léonidas) لتولي هذا الدور إبان فترة دراسته الجامعية، في وقت كان فيه الناس من مختلف الأعراق لا يتحدثون مع بعضهم البعض. فقد اقترح على أحد زملائه من عرق آخر إقامة ناد للموسيقى تحت اسم "الحلقة الموسيقية"، ثم مجلسًا شبابيًا للمصالحة بعد ذلك بوقت قصير. وذكر أنه في وقت ما، لا يذكره تحديدًا، قد أدرك أن "عليه أن يضع نفسه في مكان الشخص الآخر وإعادة النظر فيما يجري، والفهم الحقيقي لما كان يظنه لوقت طويل إحباطات زائفة يظهرها أناس ليسوا بوطنيين صادقين".

الوساطة بين وداخل الفريق الذي يتبع الوسيط له

بين عامي 1996 و2003 عمل نيجيمبيري كمفاوض، وفي السنوات اللاحقة مثّل الحكومة. وإلى جانب هذا الدور تولى أيضًا أدوار الوساطة غير الرسمية. على سبيل المثال في عملية السلام الرسمية التي جرت في أروشا بين 1998 و2000 كانت هناك لحظات من التوتر بين المفاوضين والوسطاء الرسميين، لذلك توسط هو بين الوسطاء الرسميين والمفاوضين (الذي كان هو ذاته واحدًا منهم). واستخدم خلفيته العسكرية للتواصل مع الوسطاء الرسميين (والذين كانوا أيضًا ذوي خلفية عسكرية). في أوقات أخرى كان يتفاوض مع الأطراف الأخرى، بينما في الوقت نفسه كان يتوسط داخل الفريق الذي يتبع له بين الفصائل الأكثر اعتدالاً وتلك الأكثر تشددًا. إن هذا النوع من العمل ضروري لدعم التماسك الداخلي لأفراد الفريق الواحد، والذي هو ضروري بدوره لصياغة استراتيجية فعالة للتفاوض مع الفريق الآخر.

الوساطة وفن التراجع

وهذا مثال آخر مثير للاهتمام للدور المعقد والمتغير للمفاوضين الوسطاء؛ عندما وافق على عدم حضور اجتماع مع قوات التحرير الوطنية المتمردة في عام 2003 في كوكس بسويسرا. وقال أعضاء من حزب تحرير شعب الهوتو FNL أن نيجيمبيري أهان زعيمهم رواسا في عام 1999. فأثر نيجيمبيري (Nijimbere) عدم الحضور من أجل السماح بانعقاد الاجتماع، ولكن وفده كان مستاء جدًا، وأرادوا بدورهم المطالبة بعدم حضور بعض المشاركين من حزب تحرير شعب الهوتو FNL. فما كان منه إلا أن أقنعهم بأن هذا التناطح لن يكون مفيدًا وسوف يؤدى فحسب إلى تعقيد الموقف. وقد أدى تنازله عن حقه في حضور المفاوضات إلى بناء الثقة مع حزب تحرير شعب الهوتو FNL. وقد اعتبروا هذا الموقف اعترافًا منه بخطئه. وبمجرد عودتهم للبلد اتصلوا به، والى الآن يتواصلون معه بشكل منتظم.

عادة ما تكون لدينا أفكار ثابتة عن الوساطة والوسطاء، فيفاجئنا الوسطاء الداخليون أمثال ليونيداس (Léonidas) لدعوتنا إلى النظر إلى الأشياء بطريقة جديدة. بدلاً من النظر إلى الوساطة كدور محدد لشخص معين، قد يكون من المفيد أن ننظر إلى الوساطة على أنها دور سريع التحول، كقبعة يتناوب وضعها الحضور في الغرفة . فعندما توسط نيجيمبيري (Nijimbere) بين وفده والوسيط الرسمي على سبيل المثال، كان يرتدى "قبعة الوساطة"، بدلاً من الوسيط الرسمي. وفي بعض الأحيان يمكن للوسطاء الرسميين أن يتراجعوا ليفسحوا المجال[١٧] لوساطة شخص آخر ينتمي إلى أحد أطراف الصراع خلال إحدى الجلسات التي يترأسونها.

من المفيد النظر إلى الوساطة على أنها دور سريع التحوّل، كقبعة يتناوب وضعها الحضور في الغرفة

١٧ أنظر أيضاً Arnold Mindel On This Idea Of Roles, E.g. Mindel, 1. 1995 “Sitting In The Fire – Large Group Transformation Using Conflict And Diversity” Portland, Oregon: Lao Tse Press

٦. Dekha Ibrahim Abdi من كينيا: شبكة شبكات الوساطة

"إن النهج الثقافي الذي انتهجناه في كينيا، هو ترميم العلاقة بين الضحية والجاني، ومحاولة تفهّم الألم الذي يشعر به كلاهما، ومحاولة إيجاد وسيلة لإصلاح العلاقة واستعادتها. ويحدث ذلك من خلال حوار خاص مع مجموعة ما، وحوار آخر خاص مع مجموعة أخرى، وأخيرًا حوار عام مع كلتا المجموعتين"[١٨]. تسلّط كلمات ديكا إبراهيم عبدي (Dekha Ibrahim Abdi) الضوء على العلاقة النموذجية للوساطة الداخلية. وسوف نناقش بعض جوانب هذا النهج أدناه.

البداية

ولدت ديكا إبراهيم عبدي ديكا إبراهيم عبدي (Dekha Ibrahim Abdi) في واجير بكينيا، إبان فترة كانت فيها الحرب مستمرة بين القوات الحكومية وحركة العصابات (حرب Shifta) والتي انتهت من خلال تسوية جاءت نتيجة للمفاوضات. وقالت ديكا (Dekha) أنها انخرطت في عمل السلام متأثرة بتعليق لأمها التي كان عليها أن تبتعد وتختبئ بعيدًا عن العنف. حيث قالت أمها: "كنت [اختبئ] معك تحت السرير عندما كنت طفلة صغيرة، فهل يُعقل أنني ما برحت [اختبئ] تحت السرير مع ابنتك؟ متى سينتهي هذا العنف؟ "[١٩] وفي عام 1992، بدأت ديكا (Dekha) وغيرها من النساء والرجال المعنيين بالأمر عملية سلام على مستوى القاعدة، وجمعوا بين الناس من مختلف العشائر[٢٠]. في عام 1998 كانت ضمن مجموعة من الوسيطات في منطقة واجير للتوسط بين مجموعتين من النساء كن يتقاتلن من أجل السيطرة على السوق[٢١]. وفي عام 2005 دعمت ديكا (Dekha) عملية الوساطة في منطقة ماندیرا بين مجتمعين محليين في منطقة الحدود بين كينيا والصومال وإثيوبيا. في عام 2006 قامت ديكا (Dekha) بدور الوسيط بناء على طلب من الحكومة الكينية في بوكوت/سامبورو في صراع بين مجموعات الرعاة في منطقة الحدود الأوغندية الكينية. وأخيرًا في عام 2008 شاركت ديكا (Dekha) في الأزمة التي أعقبت الانتخابات جنبًا إلى جنب مع أربع شخصيات كينية بارزة، وشكلوا حركة من أجل السلام: "مواطنون مهتمّون بالسلام" تعمل على جميع مستويات المجتمع.

تبديل الأدوار بشكل واضح

وفي إحدى الحالات، توسطت ديكا (Dekha) بين المجتمعات المحلية في منطقة واجير في كينيا. كان ذلك حين أصيبت الممثلة الرئيسية لأحد الجماعات بمرض خطير فطلبت من ديكا (Dekha) أن تحل محلها في عملية التفاوض. كانت مفاجأة لديكا (Dekha)؛ كيف لها أن تكون وسيطة في الاجتماع وفي الوقت نفسه تمثل أحد الأطراف؟ وعلى الجانب الآخر أخذت تفكر في أنها لو لم تفعل ذلك فإنها سوف تسيء إلى المرأة، ولن يُعقد الاجتماع على الرغم من الحاجة الماسة إليه في ذلك الوقت. بينما لو وافقت، قد ينظر إليها على أنها منحازة، ما سيصعّب عليها القيام بدورها كوسيطة. ولكنها في النهاية وافقت على ما طلبت منها المرأة فعله. وكانت طريقتها في التمييز بين دوريها هي تبديل ملابسها، فعندما كانت تتحدث كوسيطة كانت ترتدي شالًا عاديًا، وعندما كانت تتحدث بصفتها ممثلة بديلة للمندوبة المريضة كانت ترتدي شالًا مختلفًا على رأسها – وهذا كان يعكس التحول الداخلي الذي تقوم به. وقد نجحت بالفعل في القيام بذلك، بسبب الوضوح التي كانت تتمتع به في أثناء قيامها بالدورين، فضلاً عن الثقة التي نالتها من جميع الأطراف المعنية.

بناء نظم الوساطة

من غير الحكمة التوسط لحل صراع ما دون صياغة نظام للتعامل مع الصراعات على نحو أكثر انتظامًا. لأنه في هذه الحالة سيظل الوسيط ينتقل من وساطة ظرفية معينة إلى أخرى. لذلك قامت ديكا (Dekha) وآخرون بإنشاء "شبكة شبكات" الوسطاء (لمزيد من التفاصيل راجع الفصل المتوفّر على الإنترنت حول كينيا)؛ حيث تأسست للمرة الأولى في واجير شبكة داخلية تتكون من ممثلين عن الجماعات النسائية والحكومة وقطاع الأعمال والزعماء الدينيين والزعماء التقليديين. وكان كل طرف من هذه الأطراف الفاعلة يمثل في حد ذاته شبكة من شبكات الوساطة، وبالتالي فإن الدائرة الداخلية هي "شبكة الشبكات". كانت هذه الشبكة تجتمع مرة واحدة كل شهر لمناقشة الوضع ومعرفة ما إذا كانت

١٨ انظر الفيديو "A Kenyan Superhero" على اليوتيوب على هذا الرابط Http://Www.youtube.com/Watch?V=Pwe6mlexhzg
١٩ Http://Www.africa-Faithforpeace.org/Doc/Prog/Test2%20Abdi%20English.rtf
٢٠ Dekha Ibrahim Abdi (Kenya), 2007. The Right Livelihood Award. Http://Www.rightlivelihood.org/Abdi.html
٢١ Lederach, John Paul. The Moral Imagination: The Art And Soul Of Building Peace. Oxford, Ma: Oxford University Press, 2005

هنـاك حاجـة لأي إجـراء. فـإذا كان هنـاك صـراع تحـدد الشـبكة الداخليـة الشـخص الأفضـل للتعامـل معـه، أي تكويـن شـبكة فرعيـة، تتكـون مثـلًا مـن ثلاثـة أعضـاء مختلفيـن مـن الشـبكة الأم.

وتقـوم هـذه المجموعـة الفرعيـة بـدور الوسـيط في الصـراع. ويصبح السـؤال الإرشـادي هنـا: هـل سـيلقى الوسـيط آذانًـا صاغيـة؟ فـي الأزمـة التـي أعقبـت الانتخابـات الكينيـة، تـم إنشـاء شـبكة مماثلـة مـن شـبكات الوسـطاء "مواطنيـن مهتمّيـن بالسـلام" أو (CCP)[٢٢] (مزيـد مـن التفاصيـل فـي الفصـل المتوفّـر علـى الإنترنـت حـول كينيـا)، ولكـن هـذه المـرة كان الأمـر علـى مسـتوى القطـر كلـه. اسـتهدفت هـذه الشـبكة جميـع المسـتويات فـي البـلاد؛ فعلـى المسـتوى الأعلـى دعمـت عمليـة الوسـاطة الوطنيـة، ومـن ثـم نجحـت فـي الاقتـران بجهـود الوسـاطة الرسـمية. وعلـى المسـتوى المتوسـط اسـتهدفت الشـبكة الحكومـة والمؤسسـات العامـة، والأمن ووسـائل الإعـلام، أمـا علـى المسـتوى الأدنـى فركـزت الشـبكة علـى دعـم المبـادرات المحليـة لتحويـل العنـف المحلـي. وكان مركـز هـذه الشـبكة هـو "المنتـدى المفتـوح" – الـذي كان ينعقـد بدايـةً كل يـوم لمـدة 3-2 سـاعات. وكانـت هـذه الاجتماعـات مفتوحـة لجميـع الكينييـن وبالفعـل كان يحضـر 60-30 شـخصًا يوميًـا للمسـاهمة بأفكارهـم مـن أجـل حـل الأزمـة. وفـي 9 يناير/كانـون ثانـي أطلـق المنتـدى المفتـوح "أجنـدة مواطنيـن مـن أجـل السـلام"[٢٣] التـي سـاعدت علـى تغذيـة الأفكار النابعـة مـن القطـاع الأكبـر مـن السـكان فـي عمليـة السـلام الرسـمية.

إنشاء شبكة شبكات الوساطة

خلق مساحة من أجل التدبر والحداد

ذكـرت ديـكا (Dekha) كيـف شـعرت كل الجماعـات فـي كينيـا بالصدمـة عنـد انـدلاع أعمـال العنـف فـي الأزمـة التـي وقعـت فـي أعقـاب الانتخابـات فـي عـام 2008. ففـي الفتـرة التـي سـبقت الانتخابـات مباشـرة، كانـت كل الأطـراف الفاعلـة مـن رجـال الأعمـال والطوائـف الدينيـة والجماعـات الشـعبية والمجموعـات النسـوية...إلخ، مرتبطيـن بطـرف أو آخـر، لـذا فقـد صُـدم الجميـع حينمـا اشـتعل العنـف. قلـة منهـم كانـوا علـى مسـافة مـن الصـراع ولـم ينخرطـوا بـه ليشـاركوا كوسـطاء. فقـد منعـت الصدمـة عمـل أي شـيء. وأدركـت ديـكا (Dekha) حينهـا أن هـذه الأطـراف الفاعلـة تحتـاج أولاً إلـى لحظـة للتأمـل الذاتـي والتعامـل مـع الموقـف داخليًـا، والتفكيـر فـي دورهـم فـي فتـرة مـا قبـل الانتخابـات قبـل أن يأخـذوا خطـوة فعليـة لحـل الصـراع. لا يمكـن للمـرء أن يجـري هـذه العمليـة قصـرًا ولكـن يمكنـه خلـق مسـاحة لذلـك.

ولكـن لـن ينعـزل النـاس للتأمـل الذاتـي، ولكنهـم سـوف يأتـون لحضـور جلسـات تدريبـة. لذلـك خلقـت ديـكا (Dekha) وغيرهـا مـن الوسـطاء مسـاحةً للتأمـل الذاتـي والعمـل الداخلـي حتـى وإن لـم تحمـل ذلـك المسـمى. وهنـاك وسـيلة أخـرى للتغلـب علـى أثـر الصدمـة مـن خـلال الحـداد. حيـث جـاء المشـاركون فـي المنتـدى المفتـوح بفكـرة اسـتخدام الزهـور للتعبيـر عـن الحـداد، وبعـد التفـاوض مـع الحكومـة للحصـول علـى إذنهـا، تـم بنـاء نصـب تـذكاري مؤقـت حيـث يمكـن للأشـخاص أن يضعـوا الزهـور فـي حديقـة أوهـورو (التـي كانـت تحـت حراسـة مشـددة). وبالفعـل جـاء أنـاس مـن جميـع المسـتويات محمّليـن بالزهـور، وتـم إنشـاء نصـب مشـابهة فـي مـدن أخـرى، وسـاعد هـذا علـى إقامـة عمليـة الحـداد. فالحـداد يـؤدي إلـى يـوم جديـد!

الحداد يؤدي إلى يوم جديد

يُعـد نمـوذج شـبكة شـبكات الوسـاطة قفـزة عملاقـة إلـى الأمـام فـي تطـور التعامـل مـع التوتـرات فـي المجتمـع. إذا كانـت كافـة الأطيـاف الرئيسـية للمجتمـع ممثّلـة فـي شـبكة الشـبكات، فإنـه مـن الممكـن أن يبلّغـوا بعضهـم البعـض فـي وقـت مبكـر عندمـا يكـون هنـاك صـراع علـى وشـك أن يندلـع، وبالتالـي سـيتمكّنون مـن الاسـتجابة بسـرعة مـن خـلال الأطـراف الفاعلـة وعمـل الإجـراءات المناسـبة. يكمـن قصـور الوسـاطة التقليديـة فـي بـدء العمـل بالوسـاطة فقـط بعـد تصاعـد الصـراع بالفعـل، ولكـن شـبكة شـبكات الوسـاطة التـي تمثـل جميـع أطيـاف المجتمـع تتخطـى هـذه المرحلـة الصعبـة فـي البدايـة. كمـا يسـهّل هـذا للنـاس قبـول الوسـاطة كمـا هـي معروفـة، ويسـهّل جعلهـا جـزءًا مـن النظـام. يشـبه الفـرق بيـن هذيـن النموذجيـن للوسـاطة، التوسـط فـي مدرسـة فيهـا صـراع متصاعـد، مقابـل إنشـاء نظـام للوسـاطة عـن طريـق الأقـران. فهـذا النهـج الثانـي أكثـر فعاليـة بمئـة ضعـف. يجـب أن يُستكشـف هـذا النمـوذج ضمـن المجتمعـات الأخـرى. المثـال التالـي مـن قيرغيزسـتان يؤكـد علـى أن مثـل هـذه الأنظمـة موجـودة أيضًـا فـي بلـدان أخـرى ولـو جزئيًـا علـى الأقـل.

٢٢ تقرير Concerned Citizens For Peace:
Http://Www.rightlivelihood.org/Fileadmin/Files/Pdf/Literature_recipients/Dekha_abdi/Ccp_report_03-2008.Pdf
:A Citizens Agenda For Political Dialogue Following The Post 2007 Election Crisis In Kenya, January 9. 2007
٢٣ Http://Www.pambazuka.org/Actionalerts/Images/Uploads/Citizens_agenda_post_2007_elections_in_kenya_final_9_jan.pdf

٧. Raya Kadyrova من قيرغيزستان: نساء يتوسطن بين الرجال[٢٤]

البداية

ريا قديروفا (Raya Kadyrova) هي رئيسة ومؤسسة "مؤسسة التسامح الدولية" (FTI)، ومقرها في بيشكيك، قيرغيزستان. في عام 2004 بدأت مبادرة "التعاون بين الشرطة والمجتمع المدني وأجهزة الأمن في أوقات القلاقل الأهلية." وتضمن المشروع إنشاء مجلس التنسيق الوطني (NCC) ومجالس التنسيق الإقليمية، التي تتألف من ممثلين عن المجتمع المدني والسلطات ووسائل الإعلام (لاحظ موازاتها لنظام "شبكات الشبكات" في كينيا). في عام 2005 كانت هناك مظاهرات ساخنة، حيث كان هناك 6000 شخص يدعون إلى الإطاحة بالحكومة، واستولى المتظاهرون على المبنى الإداري للدولة في جلال أباد. ظل 200 شخص بينهم 60 امرأة لحراسة المبنى. وقد كانت هناك شائعات بأن هؤلاء الناس كانوا سكارى، وكان ذلك أمرًا مهينًا جدًا، خاصة بالنسبة للنساء المسلمات. لذلك جلبت مؤسسة التسامح الدولية أعضاء مجلس التنسيق الوطني إلى جلال أباد حيث زاروا المبنى، وشاهدوا بأنفسهم أن الشائعات كاذبة، وأعلنوا هذا على الملأ أيضًا. كلا الجانبين كان مسلحاً، لذلك كان من الممكن أن يتطور الأمر إلى العنف بكل سهولة.

المحادثات التمهيدية لتوضيح المكان والمشاركة والهدف

بدأت امرأتان من مجلس التنسيق الوطني جهود الوساطة المكوكية لجلب الطرفين (الحكومة والمتظاهرين) معًا إلى طاولة المفاوضات. وهناك حاجة ملحة إلى هذه المحادثات التمهيدية لتوضيح النقاط الأساسية قبل الاجتماع وجهًا لوجه، لا سيما فيما يتعلق بالمكان والمشاركة والقضايا الرئيسية. كان من الضروري على سبيل المثال الاتفاق على مكان يراه كلا الجانبين "آمنًا" لانعقاد المحادثات، بحيث لا يخشى طرف أن يقع رهينة في يد الطرف الآخر. كما يجب أن يتفق الجانبان أولاً على عدد المشاركين في الوفد الآخر وأسمائهم. كما اتفقا في هذه الاجتماعات التحضيرية على عدم مناقشة المطالب السياسية للمعارضة (استقالة الرئيس)، ولكن اتفقوا على أن تقتصر المناقشة على كيفية منع العنف في جلال أباد.

النساء يتوسطن بين الرجال

ثم عُقد الاجتماع بعد ذلك، وكان كل المشاركين رجالاً مع وجود وسيطتين هما ريا قديروفا (Raya Kadyrova) من مؤسسة التسامح الدولية وعزيزة عبد الرسولوفا (Aziz Abdalrasolova) من مجلس التنسيق الوطني، وكانتا تحظيان بالتقدير والاحترام على مستوى البلاد. في هذه الحالة ساعد كونهما سيدتين إلى حد كبير في لعبهما دورًا مختلفًا عما كان متوقعًا من الرجال فيما يتعلق بمسائل السلطة والنفوذ. أدت المفاوضات إلى الاتفاق على عدم استخدام الأسلحة النارية والامتناع عن الأعمال الاستفزازية، كما طلب المفاوضون من الميسرين الاستمرار في عقد تلك الاجتماعات وأعربوا عن تقديرهم لعدم حضور وسائل الإعلام أو المنظمات الدولية للاجتماعات. وظل الاتفاق ساريًا خلال المظاهرات اللاحقة.

تلعب النساء أدوارًا متعدّدة فيما يخص مسائل القوة والنفوذ

عندما كانت منظمة السلام الأخضر البيئية في أعالي البحار تتحدث إلى السفن التجارية في محاولة لمنعهم من قتل الحيتان أو تلويث البحر، كانت تعتمد على النساء لإيصال الرسالة عبر مكبرات الصوت. يقولون إن المرأة أقل استفزازًا للنوازع العدوانية، وأكثر قدرة على جذب أسماع الطرف الآخر. يبدو أن مثال جلال أباد مشابه وإن كانت التجربة في وضع وسياق ثقافي مختلفين جدًا. والجدير بالذكر أن يأتي مثال وساطة المرأة من قيرغيزستان وهو مجتمع يتمتع بأغلبية مسلمة. يجب اكتشاف المزيد من الإمكانيات الكامنة المهمّلة للوسيطات المشهود لهن والمحترمات في مجتمعاتهن والاستفادة منها.

٢٤ هذا القسم مبني على مشاركة ريا قديروفو في ورشة العمل والعرض التقديمي الذي قدّمته "تغيير من خلال رؤية الجندر أو النوع. مثال للمفاوضات الناجحة، جلال أباد، قيرغيزستان" ثورة مارس/آذار 2005. في ورشة عمل "المجتمع المدني وإدارة الأزمة الأهلية: تعزيز التعاون والتماسك من خلال الحوارات متعدّدة المستويات" التي عقدت 2-4 فبراير/شباط 2007 في Evangelischen Johannesstift ببرلين، والتي نظمها Evangelische Akademie Iserlohn، Plattform Zivile Konfliktbearbeitung

الخاتمة

وفي الختام، اسمحوا لنا بالإجابة على السؤال الذي طرُح في بداية هذه المقالة، عن خصائص الوسطاء الداخليين في عمليات السلام غير الرسمية، ومواردهم وصلاتهم ومدى أهميتهم لعملية السلام:

أولاً، يتميز الوسطاء الداخليون بالالتزام والمعرفة المتعمقة، والعلاقات

يُظهر الوسطاء الداخليون عادة قدرًا كبيرًا من الالتزام والمثابرة لسنوات عديدة أو حتى لعقود، ونادرًا ما تغريهم الشهرة الاعلامية أو المصالح المالية، بل دافعهم هو رغبة شعوبهم العميقة في تحقيق السلام ووضع حد لأعمال العنف. ويواجه الوسطاء الداخليون غالبًا مخاطر كبيرة، مثل العنف المباشر وكذلك الإنهاك بسبب حدة الضغوط في البيئات التي يعملون فيها، كذلك هناك خطر آخر وهو وسمهم بالانحياز مما قد يؤدى إلى تشويه سمعتهم لأنهم عالقون وسط ضبابية الحروب. لكن من ناحية أخرى، فإن التزامهم واستعدادهم لتحمل المخاطر على المدى الطويل يمنحهم الشرعية والاحترام والثقة.

هناك وسطاء يعتقدون بأن المرء لا يحتاج إلى أن يعرف الكثير عن الصراع، وإنما يحتاج فقط إلى معرفة العملية والمنهجية. ولكن في سياق الصراع السياسي يغدو هذا النهج خاطئًا وخطيرًا. لكي يكون الوسيط فعّالاً، عليه معرفة تاريخ الصراع والأطراف الفاعلة ومصالحها واستراتيجياتها. وبشكل عام يملك الوسطاء الداخليون ميزة نسبية وهي المعرفة المتعمقة. ينبغي على جميع الوسطاء أن يكونوا ماهرين في بناء العلاقات، بمعنى آخر، حينما يعتمد بناء الثقة على العلاقات الشخصية أكثر من الأدوار الرسمية والتفويضات، تصبح مهارات بناء العلاقات الشخصية أكثر أهمية.

ثانيًا، يعتمد الوسطاء الداخليون على عدة موارد متأصلة في خلفياتهم الثقافية

هناك على الأقل خمسة أنواع من الموارد يبدو أنها تساعد على تحفيز الوسطاء الداخليين كي يستمروا في نشاطهم:

■ الدعم من قبل السكان

يتمتع الوسطاء الداخليون عادةً بقدر كبير من الدعم والتفويض غير الرسمي من جانب الشعب، القسم الأكبر من السكان. كلما شعر الوسطاء الداخليون أن النسبة الأكبر من السكان تدعم عملهم، ربما مثّل هذا لهم أكبر مصدر للطاقة لمواصلة العمل.

■ العمل الجماعي

تحدث جميع الوسطاء الداخليين في ورشة العمل عن كيفية عملهم ضمن فريق، وكيفية عملهم مع الشبكات؛ حيث لا يمكن لوسيط منفرد القيام بأعمال الوساطة في عملية سلام وحده. فتعقيدات جهود الوساطة على مختلف مستويات المجتمع المتعارف عليها في عمليات السلام غير الرسمية أدعى إلى العمل الجماعي بشكل أكبر. ويمكن التعرف على الوسطاء الجيدين من خلال الطريقة التي يتعاملون بها مع الآخرين. تتضاءل مخاطر إمكانية انحياز الوسيط الداخلي من خلال عمله ضمن فريق: حيث قد يكون أحد الوسطاء أقرب إلى طرف ما، والآخر أقرب إلى طرف ثان، فيشكلان معًا فريقًا قادرًا على العمل بطريقة محايدة -كما ظهر في تجربة حركة "مواطنين مهتمين بالسلام" في كينيا أو المفاوضات في جلال أباد.

■ الدين والثقافة

تحدث العديد من الوسطاء الداخليين عن البعد الديني أو الروحي لعملهم وكيف أنه يلهمهم ويرشدهم. هناك أيضًا الممارسات الثقافية، وطرق فهم الواقع ومهارات الاتصال التي تميز ثقافة محددة، حيث يمكن للوسطاء الداخليين الاستفادة منها في عملهم.

■ الخبرة الشخصية والسمعة

هناك سمة شخصية للوسيط يشكلها إلى حد بعيد تاريخه الشخصي ومكان نشأته وخبراته. فور مشاركتهم في إحدى الحالات، تطلب منهم الحكومات أو الجماعات المحلية الأخرى التوسط في حالات أخرى. التجربة هي الكنز الدفين للوسطاء.

■ الموارد المادية

وإلى جانب الموارد غير المادية، هناك حاجة إلى المال لتمويل أنشطة السلام. وهناك مصادر عديدة: التبرعات الخاصة والحكومية من البلد التي ينشب فيها الصراع، والتمويل الدولي، وحتى من أموال الوسطاء أنفسهم. ومع ذلك، فإن الكثير من الوسطاء الداخليين يعملون كمتطوعين. فالوساطة الداخلية لا تُستغَل تجاريًا كالوساطة الخارجية.

ثالثا، تكامل أدوار الوسطاء الداخليين والخارجيين

وفقًا لتجارب العديد من الوسطاء الخارجيين، فأن وجود الوسطاء الداخليين في عمليات السلام غير الرسمية ضروري في كافة مراحل العملية -فهم الذين تتوافر لديهم المعلومات وجهات الاتصالات والدعم، وهم الذين يمسكون بزمام المجتمع حين يوشك على الانهيار. فدون تغذية عمليات الوساطة غير الرسمية ودعمها، لا يصبح هناك أمل في نجاح العملية الرسمية. أكدت جوليان هوتينجر (Julian Hottinger) بقوة على هذه النقطة في ورشة العمل، فقد شاركت في العديد من عمليات السلام، سواء الرسمية أو غير الرسمية، وكانت تعمل كوسيطة خارجية في أغلب الأوقات.[٢٥] وأعرب الوسطاء الداخليون في الورشة عن تقديرهم لهذا الاعتراف بأهمية دورهم. على سبيل المثال، أشارت ديكا (Dekha) إلى مدى أهمية الوساطة الخارجية التي مارسها كوفي عنان (Kofi Annan) للتعامل مع الأزمة التي أعقبت الانتخابات الكينية. ومع أن تدخله كان ضروريًا، الا أنه كان هناك شعور بعدم التمكين بين العديد من الكينيين: لماذا لم يتمكنوا من التعامل مع المشكلة بأنفسهم؟ ربما صاغ الوسطاء الخارجيون الرسميون في نيبال عملية سلام أكثر مهنية ومنظمة جيدًا، ولكن مزايا التملّك الأكبر بمنع الوسطاء الخارجيين من صياغة العملية فاقت نقائص عمليات السلام غير الرسمية الأقل تنظيمًا. ومن هنا يبدو أن هناك حاجة لزيادة الدعم المتبادل بين الوسطاء الداخليين والخارجيين، وأيضًا بين عمليات السلام الرسمية وغير الرسمية. على سبيل المثال، كانت إحدى الأفكار التي طرحت خلال ورشة العمل أن يتم عمل دراسة حول جميع الوسطاء الداخليين الذين عملوا في كينيا في أثناء الأزمة، ثم عرض عملهم هذا في كتاب أو برنامج تلفزيوني. وعندما أنهي كوفي عنان (Kofi Annan) وظيفته، كان يمكنه تمكين هؤلاء الوسطاء الداخليين الدائمين على الملأ موضحًا مدى أهمية دورهم الذي لعبوه من أجل الاستقرار طويل المدى لكينيا.

وجود الوسطاء الداخليين في عمليات السلام غير الرسمية ضروري في جميع مراحل العملية

بينما يلعب الوسطاء الداخليون أدوارًا كثيرة لا يمكن للوسطاء الخارجيين أن يلعبوها، فإن العكس صحيح أيضًا -هناك حاجة لكليهما. وأشار بادما (Padma) إلى فائدة التعلم من التجارب الأخرى، وهو الأمر الذي يمكن أن يجلبه الوسطاء الخارجيون في كثير من الأحيان معهم. إن إحدى مزايا الوسطاء الخارجيين هو أن لديهم منزلاً يمكنهم العودة إليه وحكومات تهتم بأمرهم إذا تم اختطافهم أو تهديدهم. لهذا السبب يمكن للوسطاء الخارجيين القيام ببعض المهام الخطيرة والتي لا يستطيع أن يقوم بها الوسطاء الداخليون، لأنها ستكون بالغة الخطورة بالنسبة لهم.

هناك حاجة إلى كل من الوسطاء الداخليين والخارجيين، فكلاهما يلعبان أدوارًا هامة تكمّل بعضها البعض

يستعين الوسطاء كذلك في بعض الأحيان بفئة من الخبراء يُطلق عليهم مجازًا مسمى "قاطعو التيار" لإبلاغ الأطراف المتفاوضة بحقائق غير سارة، كالقانون الدولي ورفض المجتمع الدولي دعم اتفاق ما، إلخ. هذا أيضًا دور جيّد إجمالاً للوسطاء الخارجيين، لأنهم سيواجهون بالكراهية بسبب ما يقولونه (حتى وإن كان يجب أن يُقال)، لهذا إنه لأمر جيد أن يتمكّنوا من مغادرة البلاد على متن أول طائرة مغادرة.

في بعض الحالات يصعب إيجاد شخص من بلد الصراع يمكن الوثوق به ليقوم بمهمة الوساطة، ولهذا السبب يمكن للوسيط الخارجي أن يساعد في تلك المهمة. كما اتضح من المشهد المسرحي الذي طلبته ستيلا (Stella) ، فإن الوضع المثالي أن يساعد الشخص نفسه بنفسه، ولكن إن لم يتمكّن من التعامل مع المشكلة، فمن الحكمة أن يطلب المساعدة. يُعد الجنرال الكيني لازارو سومبيو (Lazaro Sumbeiywo).

مثالاً مثيراً للإهتمام ، حيث لعب دور الوسيط الخارجي بنجاح في عملية السلام الرسمية بين شمال السودان وجنوبه، بينما لعب دورًا هامًا (وإن كان مختلفًا تمامًا) في كينيا خلال الأزمة التي أعقبت الانتخابات كوسيط داخلي في العملية غير الرسمية التي كانت تجرى بالتزامن مع العملية الرسمية الأخرى بقيادة كوفي عنان (Kofi An-nan). خلاصة القول: هناك حاجة إلى كل من الوسطاء الداخليين والخارجيين، فكلاهما يلعبان أدوارًا هامة تكمّل بعضها البعض.

٢٥ تعمل جوليان توماس هوتينغر مع مجمع الخبراء التابع للوزارة الفيدرالية السويسرية للشؤون الخارجية FDFA

رابعًا، أهمية الوسطاء الداخليين: من دولة ديمقراطية إلى دولة وساطات؟

يلعب الوسطاء الداخليون دورًا محوريًا في حفظ السلام، وخاصة في الدول الضعيفة، ولكن لماذا؟ يدور الجواب حول شرعيتهم وقدرتهم على رأب صدع المجتمع عند الحاجة. تُظهر الأمثلة في هذه الدراسة كيف دعم الوسطاء الداخليون لحظات التحولات التاريخية الرئيسية في بلدانهم، عاملين على تحويل مجتمعاتهم من مجتمعات مزّقتها الحروب إلى مجتمعات أكثر عدلاً ومسالمة. من الضروري أن يكون لدى المجتمعات عمليات سلام واتفاقات سلام من أجل الحفاظ على شرعيتها واستمراريتها. في الحالات التي تغيب فيها الشرعية المبنية على انتخابات حرة ونزيهة، يعمل الوسطاء الداخليون الموثوق بهم من قبل الدوائر الرئيسية على مساعدة بلدهم في إضفاء طابع الشرعية على عملية السلام ونتائجها -مما يجعلها أكثر قابلية للاستمرار.

قُرب نهاية ورشة العمل، طرح أحد المشاركين سؤالاً فضوليًا: "هل نحن بحاجة إلى الانتقال من دولة ديمقراطية إلى دولة وساطات؟" حيث أنه في سياق الدول "الضعيفة" كثيرًا ما تثير الانتخابات أعمال العنف. يبدو أن تلك الحالة خاصة بالدول التي تتعدّد بها الأحزاب المشاركة في الانتخابات، حيث تتشكل الأحزاب على أساس النوازع العرقية أو العشائرية، والفائز يأخذ كل شيء في نظام الأغلبية الانتخابي. يبدو نظام التمثيل النسبي الانتخابي أكثر أملاً، حيث أن كل ممثل يحصل على حصة من الكعكة ويعيد توزيعها على دائرته. ومع ذلك، إلا أن تلك الديمقراطيات الموجّهة نحو الإجماع، تعني استمرار عمليات التفاوض والوساطة على كافة المستويات الحكومية (المركزية والإقليمية والمحلية). في كلتا الحالتين، سواء الدول "الضعيفة" غير الموجودة أو الدول الديمقراطية القائمة على التوافق والإجماع، يتعيّن على الوسطاء الداخليين القيام بالكثير من العمل: فهم مفتاح السلام المستدام.

بيانات إضافية على الإنترنت

يمكن للقراء الراغبين في معرفة المزيد حول خلفية الموضوع الرجوع إلى المعلومات الإضافية المتوفّرة على الإنترنت عبر الرابط: **http://www.berghof-foundation.org/index.php?id=397**

لمزيد من المعلومات، يرجى التواصل مع أوليفر فيلز (Oliver Wils)، مدير برنامج الشرق الأوسط وشمال افريقيا لدى مؤسسة بيرغهوف. **o.wils@berghof-foundation.org**

المحتويات:

- العروض التقديمية الفردية التي قدّمها الوسطاء الداخليون من نيبال والفلبين وبوروندي وكينيا
- السير الذاتية القصيرة للمشاركين
- محضر مناقشات ورشة العمل

Berghof Foundation

swisspeace / CSS ETH Zurich

Berghof Foundation
Altensteinstr. 48a, 14195 Berlin, Germany
Phone +49 (0)30 844 154-0,
Fax +49 (0)30 844 154 99
www.berghof-foundation.org
info@berghof-foundation.org

Center For Security Studies, ETH Zurich
Mediation Support Project
Seilergraben 49, CH – 8092 Zurich,
Switzerland Phone +41 (0) 44 632 20 45,
Fax +41 (0) 632 19 41
www.css.ethz.ch

مفتاح السلام المستدام: الوسطاء "الداخليون" في عمليات السلام غير الرسمية

قدّم الغرب طويلاً نموذجًا للوساطة "الخارجية/ غير المتحيّزة"، قائلين بأن البعد عن أطراف الصراع والحيادية تجاههم يخلقان القبول والثقة. الغرب مخطئ. فمعظم الوسطاء في العالم يعملون على غرار النموذج "الداخلي/المتحيّز"، إذ يعيش هؤلاء الوسطاء في مناطق الصراع ويتأثرون به ويوجدون روابط شخصية مع أطرافه. تبحث هذه الدراسة في إسهاماتهم، التي غالبًا ما تكون غير معترف بها، في عمليات السلام. وتهدف الدراسة إلى التعرّف على كيفية قيامهم بالوساطة والسبب الذي يجعلهم فاعلين. صحيح أن الوسطاء الداخليين متحيّزون في علاقاتهم، إلا أن هذا لا يعني أنهم متحيزون تجاه العملية أو النتائج. نكتشف أن الوسطاء الداخليين يلعبون أدوارًا عديدة ومتغيّرة: فهم لا يقومون بالتيسير بين أطراف الصراع فحسب، بل ضمن أطراف الصراع وبين المجتمعات المحلية وحتى بين المفاوضين والوسطاء الرسميين أيضًا. وهم يبدون مثابرة هائلة من خلال عملهم قبل عمليات السلام الرسمية وبالتوازي معها وبعدها، حيث يبقون في المنطقة لفترة أطول بعد سفر الوسطاء الخارجيين لحل الصراع التالي، كما أنهم يتمتعون بدرجة عالية من الشرعية والثقة من جانب الشعب وكثيرًا ما يعملون ضمن فريق. ويتعرّض الوسطاء الداخليون لمخاطر كبيرة كذلك، وهذا أحد الأسباب لحاجتهم للدعم؛ يجب الاعتراف بدورهم الرئيسي في عمليات السلام لدعمهم (دون قولبتهم وتنميطهم) ولزيادة فعالية جهود الوساطة الرسمية وغير الرسمية.